# **أزمة التربية وعصر المعرفة**

**ا.م.د. سهاد جواد الساكني – قسم التربية الاسرية ولامهن الفنية – الدراسات العليا- كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية**

لا يمكن فصل تقنية التعليم عن سياقاتها الاجتماعية والاقتصادية، ولعل من أبرز هذه السياقات ما يتعلق بمشكلة التربية المرتبطة بمثالب النموذج التقليدي للتعليم من جهة، والمهارات التي تتطلبها الحياة في الألفية الثالثة نتيجة التغييرات التي أحدثتها الثورة المعلوماتية من جهة أخرى. ينبغي أن تتناغم تقنية التعليم إذاً مع هذه المتغيرات إذا أردنا أن يحدث التغيير المطلوب في النظام التربوي . نلخص بإيجاز شديد هذه القضايا:

**أ – ملامح النموذج التقليدي للتعليم:**

تسعى العديد من دول العالم إلى إصلاح نظمها التربوية، يدفعها إلى ذلك التغييرات التقنية وضعف كفاءة النظام التربوي الحالي في الاستجابة لمتطلبات العصر المعلوماتي. وتشير العديد من الدراسات (Branson,1997) (فوستر، 1990م)، إلى أن النظم التربوية الحالية قد وصلت طاقتها القصوى في الأداء، ولم يعد بالإمكان تحقيق تحسن في أدائها ما لم يجري إصلاح تربوي شامل. أزمة التربية ومشكلاتها ترتبط بالنموذج التقليدي للتعليم، فما أبرز ملامح هذا النموذج؟ يلخص مينـز وآخرون (Means et al.,1993, p.3,14) هذه الملامح: -

* التعليم يحدث في أوقات محددة (حصص دراسية 40-45دقيقة).
* التعليم موجّه بوساطة المعلم (Teacher Centered Approach).
* المعرفة عبارة عن إتقان معلومات صغيرة (Bits) ومهارات مجزأة وغير مترابطة.
* ضعف أو انعدام الترابط بين ما يتعلمه الطالب في المدرسة وما يوجد خارجها.
* الطلاب يقسمون إلى مجموعات متجانسة من حيث القدرات والعمر.
* المعلم هو مصدر المعلومات.
* أسلوب التقويم يعتمد على تقويم ما يتعلمه الطالب من حقائق معرفية ومهارات مجزأة.

**ب – ملامح أزمة التربية :**

نتج عن النموذج التقليدي للتعليم العديد من المشكلات التربوية. ناقش علي (1994م ، 386-393) مشكلة التربية في العالم العربي من منظور معلوماتي، نلخصها فيما يلي: -

* اتساع الفجوة بين التعليم وسوق العمل.
* عدم تكافؤ الفرص التعليمية.
* الهدر التعليمي الضخم.
* عزوف الطلاب عن التعليم نتيجة الأساليب القائمة على التلقين والحفظ.
* سلبية المعلمين وعدم مشاركتهم في مشروعات الإصلاح التربوي.
* عدم فاعلية البحث العلمي بسبب انفصاله عن مشكلات المجتمع وعدم توجيهه لإنتاج المعرفة الجديدة .
* تدني مستوى الخريجين بالنسبة لمهارات التعلم الأساسية.
* تخلف المناهج وأساليب التعليم.
* ضعف الإدارة التعليمية في استثمار الموارد المتاحة لها.

كذلك حدد المؤتمر العربي الإقليمي حول التعليم للجميع (مجلة المعرفة،130) بعض أبرز ملامح مشكلة التربية في ضعف جودة التعليم وضعف مؤهلات المعلمين، كما حدد أولويتين للدول العربية جمعاء هما: مشكلة جودة التعليم التي تتطلب توفير تعليم متميز من أجل تعلم متميز، وتطوير الإدارة المدرسية من أجل حسن تدبير وحسن تسيير.

**ج – مهارات الحياة في الألفية الثالثة:**

إن عمليات التربية والتعليــــم تجري فـــي نظام أكبر(Super System) ، ولذا فالتغير الذي يحدث في النظام الأكبر ينعكس على النظام التربوي، فما التحولات التي تمر بها المجتمعات في مرحلة تحولها من العصر الصناعي إلى العصر المعلوماتي ؟ رايجيلويث (Reigletuth, 1998,p.17) حلل هذه التحولات (أنظر الشكل رقم 4) . في العصر الزراعي نظمت الأعمال حول العائلة (مزرعة العائلة، معمل العائلة ، الخ). في العصر الصناعي اسبدلت العائلة بالبيروقراطية والإدارات والأقسام التي أصبحت الصيغة المسيطرة على منظمات الأعمال. الآن والعالم يتقدم بعمق في العصر المعلوماتي ، تحاول المؤسسات التخلص من المستويات الوسطى للبيروقراطية وإعادة تنظيم نفسها على هيئة فرق تعطى صلاحيات أكثر لإدارة نفسها بدلاً من توجيهها من أعلـى، مما يسمح للمؤسسات بالاستجابة بشكل أسرع وأكثر ملاءمة لحاجات المستفيدين.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| العصر المعلوماتي |  | العصر الصناعي |
| **إلى** |  | **من** |
| - المقاييس بناءً على احتياجات المستفيد (Customization) |  | - المقاييس الموحدة (Standardization) |
| - منظمات معتمدة على الفريق |  | - منظمات بيروقراطية |
| - صلاحيات مشروطة بالمسئولية |  | - تحكم مركزي |
| - علاقات تعاونية |  | - علاقات تنافسية (خصومة ) |
| - الشراكة في اتخاذ القرار. |  | - أوتوقراطية (مركزية ) سلطة اتخاذ القرار |
| - المبادرة |  | - الطاعة والإذعان |
| - التنوع والاختلاف |  | - التماثل والانسجام |
| - شبكات اتصال |  | - اتصال باتجاه واحد |
| - الكلية والإندماجية (Wholism) |  | - الفئوية والتجزئة |
| - التركيز على العملية |  | - التركيز على الأجزاء |
| - الجودة الكلية |  | - تخطيط آيل للزوال |
| - المستفيد هو الملك. |  | - المدير هو الملك |

الشكل رقم (4) التحولات من العصر الصناعي إلى العصر المعلوماتي

هذه التغييرات الجوهرية في النظام الأكبر الذي يجري فيه التعليم لها مضامين مهمة للتعليم، فالعاملون بحاجة للتفكير بالمشكلات وحلها والانخراط في عمليات اتصال وحوار حول المهام التي يؤدونها واتخاذ المبادرات وتقديم وجهات نظر متعددة حول هذه المهام. يتساءل رايجيلويث (Reigeluth , et ( al.,1998, p.17:هل تستطيع نظرية التربية والتدريب الحالية مقابلة هذه الحاجات من خلال تغيير المحتوى؟ أم هل نحن بحاجة إلى تغييرات جوهرية؟ يجيب رايجيلويث بأن النموذج التقليدي للتعليم والتدريب مبني على مقاييس موحدة، وهو في هذا يشبه الإنتاج الجماهيري للعمل الصناعي الذي بدأ يتلاشى الآن ويتجه نحو الإنتاج لمقابلة حاجات محددة (Customized Products ) في العصر المعلوماتي ، ويضيف (p.17) : "نحن نعرف أن متعلمين مختلفين يتعلمون بسرعات مختلفة ولهم حاجات مختلفة ، ومع ذلك، يتضمن نظامنا التعليمي التدريس لمجموعة كبيرة من المتعلمين المحتوى نفسه وبفترة زمنية واحدة ، لماذا؟" أحد الأسباب كما يقول كامبل ومونسون (Campel&Monson) المشار إليه في رايجيلويث (Reigeluth, 1998,p.18) : "نجادل الافتراض الرئيس للتعليم التقليدي الذي يؤكد على أن نقل جميع المتعلمين خلال المحتوى بالطريقة نفسها، هو أسلوب فعّال، بأن هذا النموذج يمكن أن يتميز بالكفاءة ، ولكنه بالتأكيد لا يمكن أن يكون فعالاً. " سبب آخر للمقاييس الموحدة هو الحاجة إلى مقارنة الطلاب بعضهم ببعض بغرض فصل العاملين عن المديرين الذي كان حاجة مهمة في العصر الصناعي . كذلك يشير الشكل رقم (4) إلى أن النموذج الحالي للتعليم والتدريب مبني على الطاعة ، فالمطلوب من جميع المتعلمين والمتدربين أن يجلسوا وينصتوا بهدوء وأن ينفذوا ما يطلب منهم (تعلم موجّه بوساطة المعلم أو المدرب) ، ولكن قطاع الأعمال الآن يريد أفراداً يتخذون المبادرات ويأتون بوجهات نظر متنوعة إلى موقع العمل مما يحسن قدرة الفريق على حل المشكلات. باختصار ، يوضح الشكل المذكور أن الخصائص الرئيسة للنظام التربوي التقليدي مضادة للإنتاجية لمقابلة الحاجات الجديدة للعصر المعلوماتي. الرسالة واضحة: "النظام التربوي ذاته بحاجة إلى تغيير : من التعليم المتمركز على تصنيف الطلاب وتقسيمهم إلى تعليم متمركز على المتعلم، ومن القولبة إلى مراعاة حاجات المتعلمين ومقابلتها ، ومن التركيز على وضع الأشياء في عقول المتعلمين إلى التركيز على مساعدتهم على فهم ما في عقولهم ، ومن التعلم السلبي إلى التعلم الإيجابي النشط ، والتحول من مبادرات المعلم وتحكمه إلى الشراكة في المبادرات والتحكم والمسئولية ، والأكثر أهمية التحول من جعل الوقت ثابتاً والتحصيل متغيراً إلى جعل الوقت متغيراً والتحصيل ثابتاً، لإعطاء كل متعلم ما يحتاجه من وقت لتحقيق التحصيل المرغوب.

لقد تطلب تحول المجتمعات من العصر الصناعي إلى العصر المعلوماتي ، إعادة النظر في المهارات التي تحاول النظم التربوية تسليح أفرادها بها. وصف ترلنج وهود (Trilling&Hood,1999,p.7,8) سبعة أنواع من المهارات يعتبرانها "مهارات البقاء في عصر المعرفة":

* **التفكير والعمل الناقدين** : يحتاج العاملون في عصر المعرفة أن يكونوا قادرين على تعريف المشكلة في مجالات معقدة ومتداخلة وغير محددة (Ill-defined)، واستخدام الأدوات والخبرات (بشرية وإلكترونية) في البحث والتحليل وتصميم الحلول وإدارتها وتقويم النتائج وتحسين الحلول باستمرار تبعاً لتغير الظروف.
* **الابتكارية** : ستكون مهارات ابتكار حلول جديدة لمشكلات قديمة، واكتشاف مبادئ جديدة ، واختراع منتجات جديدة لنقل أفكار جديدة، وتوظيف طرق مبتكرة لإدارة العمليات والأفراد مهاراتٍ مهمةً لعصر المعرفة.
* **التعاون** : سيكون العمل من خلال الفريق الاختيار الوحيد لحل المشكلات المعقدة أو لابتكار الأدوات والخدمات والمنتجات المعقدة.
* **فهم الثقافات الأخرى** : يحتاج العاملون في عصر المعرفة إلى ردم الهوة الاجتماعية والسياسية والمنظماتية والثقافية لكي يؤدوا أعمالهم بنجاح، حيث تزداد أهمية فهم الثقافات الأخرى (Cross-Cultural Understanding) في مجتمع متعدد الثقافات.
* **الاتصال** : يحتاج الأفراد في عصر المعرفة إلى توظيف اتصالات فعّالة بوسائل متنوعة ولجمهور متنوع. اختيار الوسيلة المناسبة للرسالة المناسبة ولجمهور مناسب وإنجاز ذلك بفاعلية وكفاءة يمثل مهارات لا غنى عنها.
* **الحوسبة** : سوف يحتاج كل فرد في عصر المعرفة إلى أن يصبح متمكناً من تقنية الحاسوب مما يفوق مهارات الثقافة المعلوماتية إلى مستوى أعلى من الإتقان الرقمي. فالذين يتقنون أدوات المعرفة في عصر المعرفة سيكونون أكثر نجاحاً في المدرسة والعمل مقارنة بالذين لا يتقنونها.
* **الوظيفة والاعتماد على النفس :** في عصر يزداد فيه العمل بصفة مؤقتة وتبعاً لعقود مبرمة ، يحتاج الأفراد إلى إدارة مسارات وظائفهم وتعلمهم المستمر للمهارات الجديدة.